نفسي الموت بين مخالب تلك الحشرات الحديدية الكريهة، ذات الدخان والعواء. إن غياب السيارة يؤكد في نفسي هذا المعنى الذي يجعل من فينيسيا مدينة تنتمي إلي زمن آخر، وعالم آخر، مدينة لا تشبه إلا نفسها.

كنت قد وصلت إلي أكثر ميادين فينيسسيا شهرة، ميدان سان مارك. عرفت وأنا أركب الجندول أننا نقترب منه قبل ان نصل اليه. فقد لاحت من بعيد قباب البرج وكنيسة سان مارك وقصر الادواج، كما لاحت واجهات الابنية التاريخية التي تعج شرفاتها وأسطحها بالتماثيل، وظهرت أفواج الحمائم التي ترفرف فوق تلك القباب والاقواس والحراس الحجريين، وتناهى إلى سمعي صوت العزف الاوركسترالي تعزفه فرقة عرفت فيما بعد أنها تتخصص في عزف موسيقي فاجنر، الذي أقام زمنا يؤلف سيمفونياته في بيت يطل علي الميدان. وما أن وصل الجندول إلي الرصيف، حتى انبثق امامي ذلك المهرجان من الأضواء والألوان والإيقاعات. الدكاكين التي تبيع التحف والهدايا. المقاهي ذات الواجهات المصنوعة من زجاج ملون، وما اكتظت به من مرايا ولوحات وزخارف. كرنفال الأزياء التي يرتديها السواح وما يصنعونه من ضجيج بإنشادهم ورقصهم وآلات تصويرهم. دخلت الميدان ووقفت امام مقهى «فلوريان» استحضر قراءاتي عن هذا المقهى الذي شهد مجالس الأدباء الذين قضوا وقتا هنا يتبادلون الأنخاب مع أصحابهم وصاحباتهم، الفونس دوديه، جورج ساند، جولدوني، اوسكار وايلد، توماس مان، هيمنجواي. انثالت على الذاكرة مشاهد المسرحيات التي اتخذت من هذا المكان ميدانا لأحداثها. هنا وقف شايولوك تاجر البندقية الشهير يطالب غريمه انطونيو برطل من لحم جسمه، وهنا كان ياجو ينسج مؤامراته ضد عطيل مستخدما ديدمونه وكاسيو وريدريجو وايميليا، وهنا كان كازانوفا يتسلق الشرفات إلي مخادع حبيباته. ها هو الفن يضفر خيوطه بخيوط الواقع، ويعزز عمق الوشائج التي تربط بيني وبين هذه المدينة، ويجعل من زيارتها عيدا لاتضاهيه أعياد اخرى تأتي بحكم